مناطف عديدة في سيناء مشهورة بزراعة الخضار والفاكهة تهددها زراعة المخدّر، العريش، مايو 2024 (علي مصطفى/Getty)

يكشف التحقيق عن خفايا زراعة مخدر الهيدرو في سيناء، والذي يعد أحدث وأكثر الأنواع المخلقة انتشاراً، وتضاف إليه مواد سامة يصل عددها إلى 63 مركباً كيميائياً تزيد من أرباح المتورطين كما تفاقم مخاطره على المتعاطين

مزارع الهيدرو في سيناء

استهلاك محلي وتصدير إلى الجوار

سيناء ـ **محمد سليمان**

بالكاد تمكن العشريني المصري محمد (طلب الاكتفاء بذكر اسمه الأول تجنبا للمساءلة القانونية) من رفع رأسه بعد يوم عمل شاق في مجال المقاولات لكنه تجاهل الإرهاق الشديد وجمع «يوميته» (أجره) حتى يشتري «كيسا من مخدر الهيدرو» الذي أدمنه قبل عامين، عندما قاده فضوله لتجربة سيجارة مخلوطة بالمخدر المنتشر بين أصدقائه. «تلك كانت البداية، ومن بعدها أشتري الهيدرو من تجار ينتشرون في مدينتي، حسب ما يتوفر من مال، حتى بدأ دخانه يتغلغل إلى عقلي ويسيطر على فكري وأنفق عليه كل ما أملكه»، يروي محمد لـ«العربي الجديد» خلال لقائه في محل صديق له بمدينة العريش شمال شرق سيناء، عن محاولاته الكثيرة الفاشلة للعلاج من الإدمان، في أكثر من مركز مختص، للحفاظ على ما تبقى من صحته وماله المستنزفين، ولكن دون جدوى، في ظل سهولة الحصول على الهيدرو بسبب زراعته المنتشرة في سيناء، وتجارته التي تتنامى محليا، وخارجيا عبر تهريبه إلى الجانب الإسرائيلي.

ويعد مخدر الهيدرو واحدا من المواد المهلوسة، إذ تحتوي خلطته على المادة الفعالة رباعي هيدروكانابينول والتي ينسب اسمه إليها وتستخرج من نبات القنب الهندي وتدخل في صنع الماريغوانا والحشيش، إلا أن الهيدرو يضاف إلى الأعشاب الجافة الداخلة في تكوينه مواد كيميائية سامة تصل إلى 63 مركبا مثل حمض إيزوفثالك المستخدم في صناعة المواد الكيميائية، والكافيين، والأسيتون وهو مركب كيميائي أيضا، ومبيدات الحشرات، ما يجعله ذا مفعول أكبر من الحشيش، ويسبب الإدمان بسرعة، وهو السبب الذي يجعله أكثر خطورة من غيره من المخدرات، بحسب ما يوضحه إسلام سعد، الطبيب المتخصص في علاج الإدمان في مستشفى دار الشفاء للطب النفسي (خاصة) بمحافظة الجيزة وسط البلاد.

زراعة الهيدرو

بدأ طارق عياد (اسم مستعار تجنبا للمساءلة القانونية) من بدو قرية البرث التابعة لمدينة رفح في محافظة شمال سيناء، زراعة الهيدرو بين أشجار الزيتون منذ عام 2021، ليحصد حوالي 200 كيلو غرام من المخدر عبر مساحة بسيطة يقول إنها لا تتجاوز نصف فدان وصغيرة بالمقارنة مع المزارع الأخرى، ويجري الحصاد تقريبا بعد 100 يوم من الزراعة،ويبيع الكيلو غرام بـ 7500 جنيه (الدولار يعادل 48,67 جنيها) يمنحه إياها تجار الجملة المتواجدون في محافظة شمال سيناء. وخلال عمله في مزارع الهيدرو على مدار عامين، يروي كريم الذي طلب الاكتفاء بذكر اسمه الأول لضرورات أمنية، أن النباتات المخدرة تزرع في المناطق ذات التربة الرملية شرق وجنوب شرق مدينة العريش، وتستخدم مياه الآبار الجوفية لري المزارع بالتنقيط، كما تصل سيارات نقل محملة بالسماد العضوي وأدوات الري عبر معدية «نمرة 6» بمحافظة الإسماعيلية، قادمة من محافظات الدلتا بتسهيلات مسبقة لا يعلم السائقون من وراءها ولكنها تضمن تسهيل حركة مرور السيارات بعد إجراءات تفتيشية بسيطة، وهو ما يؤكده سبعة من العاملين في هذه التجارة قابلهم معد التحقيق. و«تمتد شبه جزيرة سيناء على 61 ألف كيلومتر مربع، وهذه المساحة عبارة عن تضاريس متنوعة من سهول وهضاب وجبال، لهذا السبب توفرت ظروف مناسبة لزراعة الهيدرو في الصحراء، فالمنطقة شاسعة وتتميز النباتات المخدرة بأنها لا تحتاج لى مياه ري كثيرة، بالإضافة إلى ذلك تُعد تجارة رابحة بشكل كبير» بحسب ما يوضحه لـ«العربي الجديد» العميد السابق في القوات المسلحة المصرية سمير راغب، رئيس المؤسسة العربية للدراسات الاستراتيجية (مختصة بالدراسات الأمنية).

تجارة آخذة بالتوسع

ظهر مخدر الهيدرو وانتشر على مستوى البلاد عام 2018، لكن وجوده في محافظة جنوب سيناء سبق هذا التوقيت، وتحديدًا في المدن الحدودية مثل نويبع وطابا وشرم الشيخ، ثم بدأ في الانتشار تدريجيًا حتى وصل إلى غرب قناة السويس، ومن ثم إلى مدن القناة وبعدها بقية المحافظات المصرية، إذ ينتشر بين الشباب خاصة من تتراوح أعمارهم بين 15 و20 عاما، كما يقول الدكتور محمد غريب، مدير مؤسسة نحن معك للتأهيل النفسي ومكافحة الإدمان، بمحافظة الإسماعيلية شمال شرق البلاد، عبر ما رصده من خلال شهادات المتعاطين.

ويستخدم تجار الجملة وأصحاب المزارع المهربين لتمرير المواد المخدرة عبر نقاط عبور في قناة السويس من الجانب الشرقي (شمال سيناء) إلى الجانب الغربي حيث بقية محافظات مصر، ويصل سعر عبور 1 كيلوغرام من مخدر الهيدرو بواسطة قوارب تقطع قناة السويس أو أنفاق القناة الخمسة إلى نحو 3000 جنيه، أي ما يعادل 10 آلاف جنيه لشنطة تزن 3,5 كيلو غراما، ويتم إخفاء المخدرات في ملابس المهرب أو سيارته ويتسلمها موزعون في المحافظات لإيصالها إلى التجار الذين دفعوا مبالغ مالية مسبقا من أجل شراء المخدر، حسب ما يكشفه أحمد سليمان، وهو اسم مستعار لأحد العاملين في تهريب الهيدور. ويقرّ الأربعيني سامي أبو عوف، اسم مستعار تجنبًا للمساءلة القانونية، بأنه جرّب المتاجرة بأنواع كثيرة من المخدرات لكنه استقر أخيرا على بيع مخدر الهيدرو، كاشفا عن تورط جميع التجار الذين يروجون لهذا المخدر ويبيعونه في استخدام مواد سامّة وخطيرة تزيد من درجة الشعور بالدوار والنشوة والإدمان على حد تعبيره، لزيادة تعلق الناس به وبالتالي أرباحهم، قائلا أن التاجر الذي يشتري كميات تتروح بين كليوغرامين وخمسة كيلوغرامات لن يحقق أرباحا جيدة ما لم يخلطها بمواد أخرى من شأنها زيادة مفعول المخدر وتؤدي إلى عملية الإدمان، وتكون عادةً عبارة عن أعشاب تشبه الهيدرو، مع إضافة مواد كيميائية لتمنح الخلطة النهائية مفعولا ووزنًا زائدًا وتعزز تأثيرها على المستهلكين.

حملة مشتركة من الشرطة والجيش صادرت 10 أطنان من الهيدرو

يخلط التجار الهيدرو بمواد كيميائية لزيادة فاعلية المخدر وأرباحهم

طريق الهيدرو إلى إسرائيل

تُحمّل سيارات خاصة بتجار الهيدرو المخدر من مخازن داخل المزارع التي ينمو فيها، وتتجه صوب السياج الحدودي ليلا مع إغلاق أضوائها، ويسلك المهربون مدقات صحراوية وعرة وبعيدة عن الأعين تخترق الناحية الشرقية لقرية أم شيحان في مركز الحسنة بمحافظة شمال سيناء أو بالقرب من تجمع أبو جهامة، حتى لا يثيروا أي انتباه معتمدين على دراية السائق بخط سيره، وما أن يصلوا إلى السياج الحدودي بين مصر وفلسطين المحتلة، حتى يلقوا أجولة (أكياسا من الخيش بأوزان مختلفة) الهيدرو من فوق السلك الشائك، ليستقبلها أشخاص على الجانب الآخر ينتظرون عند نقطة محددة ومتفق عليها بتنسيق مسبق، وينقلوها بسيارات دفع رباعي سريعة عبر نقاط تشكل ثغرات رخوة يستغلها المهربون جنوب معبر العوجة الحدودي بين مصر وإسرائيل، ولا تستغرق العملية 15 دقيقة، ويتمكن المهربون عادة من اجتياز السياج بسهولة من الجانب المصري، حيث لا توجد صعوبات كبيرة، بينما تزيد المخاطر في الطريق إلى الجانب الإسرائيلي، إذ تنشر سلطات الاحتلال قوات أكبر وكاميرات مراقبة للرصد، كما يكشف لـ«العربي الجديد» سليمان المشارك في عمليات تهريب التبغ والهيدرو.

الرواية السابقة، يؤكدها خمسة آخرون امتهنوا تهريب الهيدرو التقاهم معد التحقيق، ومن بينهم حسن محمد (اسم مستعار تجنبا للمساءلة القانونية)، ويسكن شرق العريش وعمل في تهريب مخدر الهيدرو بين عامي 2018 و2020، واصفا حركة التهريب إلى إسرائيل «بالنشطة»، بخاصة بين المزارعين في المنطقة الحدودية أقصى شرق شمال سيناء مثل قريتي مربع البرث ووادي العمرو التابعة لمركز الحسنة، إذ يقايضونه بمخدر الكوكايين والهيروين من الجانب الإسرائيلي، موضحا أن 20 كيلوغراما من مخدر الهيدرو يمكن استبدالها بكيلو واحد من مخدر الكوكايين، أو يبيعونه بالجملة لمروجيه على الجانب الآخر بأسعار متفاوتة تبدأ من 5000 شيكل للكيلو الواحد (1375 دولارا)، ويمكن أن يزيد السعر حسب نوعية وخلطة المنتج.

مكافحة الهيدرو

ينافس الهيدرو في سعره ورواجه داخل سيناء مخدري البانجو والحشيش ويقول عياد، الحشيش هنا مخلوط بمواد أخرى لزيادة وزنه وحجمه وأخرى عطرية كثيرة ويباع بمبالغ كبيرة حيث يصل سعر الغرام منه إلى 100جنيه تقريبا، والبانجو بات غير مرغوبا فيه لذا يقبل الشباب على الهيدرو الذي صار موضة، قائلا أنه لم يتعرض لأي مداهمة سابقا، على يد السلطات المحلية سواء الجيش أو الشرطة، ويمنّي نفسه بأن يبقى بعيدا عن أعينهم. ويفسر العميد راغب استمرار الظاهرة قائلا بأنه «على الرغم من تنفيذ القوات المسلحة حملات موسعة لضبط وإعدام منتجات مزارع الهيدرو، إلا أنها لم تقض عليها تماما، نظرا لانتشارها في سفوح الجبال أو في وديان عميقة بخاصة في الظهير الصحراوي وسط وشرق سيناء، ما يجعل من الصعب إزالتها بشكل كامل أو الكشف عنها بسهولة». لكن حملة نفذتها قوات الشرطة المصرية بالتنسيق مع القوات المسلحة استهدفت مروجي وتجار مخدر الهيدرو في مدن شمال سيناء، خلال الفترة الممتدة من إبريل/نيسان 2022 وحتى مايو/أيار 2024، أسفرت عن ضبط 640 بائع جملة، و1354 بائع تجزئة، و3000 متعاط، بينما صادرت 10,600 كيلو غرام من الهيدرو، وتم القضاء على مساحات واسعة من المزارع في مناطق وسط سيناء تعدت الـ 1000 فدان متفرقة، بحسب توضيح مقدم في الإدارة العامة لمكافحة المخدرات بمنطقة القناة وسيناء تحتفظ «العربي الجديد» باسمه، واصفا صعوبة الأمر: «غالبًا ما يلجأ من يزرعون المخدرات إلى إخفائها في أماكن لا تتوقعها القوات وهنا لا بد من دراسة أمنية حول مآلات مداهمتها، ما قد يمنحهم فرصة حصاد المخدر والهروب أو الانتقال إلى مكان آخر».